البنية الزمنية
في رواية "القلاع المتآكلة "محمد ساري

سلمى خوخو طالبة

صدرت للكاتب "محمد ساري"[1] رواية "القلاع المتآكلة (2013)"[2]، وهي الرواية السادسة له في الترتيب- المكتوبة باللغة العربية- بعد سلسلة من الروايات[3]، وقد وردت في حوالي: 273 صفحة وتعدّ من ضمن الروايات التي رصدت ظاهرة الإرهاب والعشرية السوداء التي عاشها الشعب الجزائري. حيث حاول الروائي تصوير الواقع المأساوي في تلك الفترة من جهة، وفهم الأحداث ومجرياتها وتحليل مسبباتها وآثارها من جهة أخرى، بطرق فنية وإبداعية نلمس من خلالها براعة الحكي والسرد[4]، عبر الغوص في ماضي وحاضر شخصيات متعدّدة جسّدت واقع المجتمع الجزائري الذي يتخبّط في مشاكل عويصة، والتغييرات التي قلبت حياة القرية الآمنة، عن طريق شخصيات انتقاديه تريد تغيير الواقع بأي ثمن، محاولة التمرّد على الأوضاع، وتعبّر بشدّة عن فساد المجتمع، (فقد حدّد الروائي الغايات والدوافع التي تسعى لها كلّ شخصية)[5]، مع سعيه لإبراز نظرة الكثيرين إلى الدّين ومختلف الأفكار المتطرّفة التي أخذت أبعادا خطيرة وشكّلت منعرجا حاسما في مسار المجتمع الجزائري وزعزعت مختلف نُظمه، إضافة إلى البحث في جذور التحولات التي عرفها هذا المجتمع، وتفسير ظاهرة تفشّي العنف في الوسط، وبذلك أخذت الشخصيات على عاتقها مسؤولية إبراز التحولات الجذرية والمأساة التي عايشها المجتمع الجزائري، ومحاولاته الساعية لإيجاد حلّ يهدئ الأوضاع.

يعتبر السرد (الكيفية التي تروى بها القصّة، وما تخضع له من مؤثرات)[6]، إذ يمكن (أن تحمِله اللغة الشفوية واللغة المكتوبة، وتعبِّر فيه عن الصورة الثابتة والصورة المشتركة)[7]، وعلى ضوء هذا نجد السرد يبدأ في رواية "القلاع المتآكلة" من نقطة في الحاضر متجهة إلى المستقبل مع العودة إلى الماضي بأساليب متعددة تتداخل أحيانا وتتشابك أحيانا أخرى، تعكس البناء الفنّي والطريقة السردية للروائي والتي يغلب عليها الأسلوب الحكائي الوصفي، والذي طغت عليه الدرامية التي نستشفها من نسيج الإيقاع الذي تبنيه الشخصيات في طريقة تسلسلها، وكذا المفارقات التي جاءت كنتيجة لذلك، ومختلف الصدامات والمواجهات التي

وقعت فيها، باعتبار "السرد الأدبي يتميز بخصائص تميّزه عن غيره من السّرود ومن غير الممكن أن ينتج هذا السرد معنى إذا استخدم بعيدا عن إطاره الخاص"[8].

وأثناء اطلاعنا على رواية "القلاع المتآكلة" لفت انتباهنا تعدّد استخدام الروائي للتقنيات الفنّية في صياغة عمله الروائي من استرجاع/ استباق/ بطرق فنّية ساهمت في تشكيل هيكل للعمل الروائي. لذا ارتأينا دراسة البنية الزمنية في الرواية باعتبارها من أبرز المكوّنات الحكائية التي تشكّل بنية الشكل الروائي، وبالتالي تأسست على إثرها فكرة الدراسة والتحليل ورصد أبرز مظاهر الزمن داخل المتن الروائي ومختلف تقنياته وأوجه استخدامه، اعتمادا على الإجراءات التي قدّمها جيرار جينيت[9] حول المفارقات الزمنية، والتي يقصد بها (دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة بنظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع في القصّة)[10]، والتي حدّد المقياس الأساسي الذي تُبنى عليه، من ضبطٍ للمصطلحات الثلاثة: (السرد، القصة، الحكاية)[11]، وتأكيده على مدى ضرورة التمييز بينها لما له من فائدة منهجية في تحليل البنية الزمنية[12].

ولقد حظي الزمن باهتمام الدارسين والنّقاد باعتباره من أبرز العناصر الحكائية الفاعلة التي يتم توظيفها داخل البناء الروائي كواجهة أولى تبيّن لنا الصراع القائم داخل المتن الروائي ومختلف أطره المتعدّدة، وقد عُدّ منعرجا حاسما تشترك فيه مختلف أوجه الحياة الإنسانية على مستوى الفن الروائي باعتباره حقلا خصبا تنمو داخله مختلف الصراعات والأحداث مكوّنة قالبا حكائياً يعكس لنا طبيعة المجتمع، وبالتالي غدا الزمن عنصرا أساسيا في النص الروائي يتأرجح بين ماض وحاضر ومستقبل، (وفي سيلانه حركة تحمل الصيرورة والتّحوّل والتغيّر)[13]، فالرواية تنطلق من لحظة في الزمن ومنها تبدأ التشكلات الزمنية في الصعود أو الهبوط، وتتجلى على إثره مختلف آثاره فينا وفي كلّ ما يحيط بنا، وتمثل الذاكرة خلال هذه العملية خلفية مرجعية من أجل بناء الزمن وتشكيله، وبالتالي بناء النص الروائي. ففي الرواية المختارة للدراسة نجد ظاهرة "الإيديولوجية الإسلامية ومؤثراتها والتحولات السياسية" التي برزت في أواخر الثمانينات والتسعينات وما صاحبها من انهيار في المفاهيم والإيديولوجيات الوطنية التي سادت في العشريتين الأوليين بعد الاستقلال، وكيف ظهرت إيديولوجيات جديدة منتقدة للمجتمع.

وتعدّ أعمال جيرار جينت في مجال البنية الزمنية بداية جديدة ومتطورة في مجال تحليل الخطاب الروائي، فقد انطلق في دراسته من كون (العمل الحكائي يتشكل من زمنين اثنين هما: زمن الشيء المحكي*... وزمن الحكي**)[14] ويتبيّن لنا هذا من خلال ثلاث علاقات

تتمثل في "الترتيب الزمني- الديمومة- التواتر" والتي تتشكل بها البنية الزمنية للنص الروائي، هذا الأخير الذي يقوم على قواعد تضبط حركة الزمن داخله في تسلسل وانتظام، وتضمن للمتلقي بناء ذا نسيج محكم للنّص من جهة والتشويق من جهة أخرى.

-**الترتيب الزّمني:** ويُقصد به (تتابع الأحداث في المادة الحكائية "diegése" بين ترتيب الزمن الزائف disposition في الحكي)[15]، فالترتيب الزمني عند جينيت يتجلى في تلك (الصلات بين الترتيب الزمني لتتابع الأحداث في القصّة والترتيب الزمني الكاذب لتنظيمها في الحكاية)[16] سواء كان مصرحا به في القصة أم كان ترتيبا مفترضا، والذي يؤدي إلى ما يسميه جيرار جينيت "المفارقة الزمنية" (التي تتجلى من خلالها مختلف أشكال التفاوت بين الترتيب في القصة والحكي)[17]، وتتحدّد في الاستباق من خلال إثارة حدث سابق لأوانه، والاسترجاع من خلال إثارة حدث سابق عن الحدث الذي وصلت إليه الحكاية.

فجيرار جينيت يرى (أنّه حين يبدأ مقطع سردي في رواية ما، بإشارة كهذه "قبل ثلاثة أشهر" يجب أن ندرك أنّ هذا المقطع قد أتى متأخّرا في نقل الخبر، وقد كان يجب أن يحلّ مقدّما في الرواية)[18]، ويقصد بهذا أنّ السرد ورد متأخرا، وعلى ضوء هذا تبرز المفارقات الزمنية في شكلين يمثّلان سمات وخصائص البناء الزمني في الرواية في أدقّ جزئياته، وتظهر أساسا في علاقات الترتيب الزمني المتمثلة في تقنيتي: الاسترجاع والاستباق.

وللإشارة، فإنّه سنسعى من خلال هذا المقال للكشف عن فنّيات توظيف التقنيتين (الاسترجاع/الاستباق) في رواية 'القلاع المتآكلة' لمحمد ساري، ومدى فاعليتها في بناء نسيج وهيكل النّص الروائي.

1- **الاسترجاع:** Analépse"الذي يُقصد به (عملية سردية تعمل على إيراد حدث سابق للنّقطة الزمنية التي بلغها السرد، وتسمى كذلك هذه العملية بالاستذكار "Rétropéction")[19] سواء كان:

أ/ الاسترجاع الخارجي A. Externe: و(الذي يعود إلى ما وراء الافتتاحية وبالتالي لا يتقاطع مع السرد الأولي الذي يتموقع بعد الافتتاحية، لذلك نجده يسير على خطّ زمني مستقل وخاص به)[20].

ب/أم الاسترجاع الداخلي A. Interne: والذي (يلتزم خطّ زمن السرد الأولي)[21]، وينقسم بدوره إلى:

- **استرجاع داخلي متباين حكائيا A. Hétérodiégtique**، وهو (الذي يسير على خطّ زمن الحكي لكنّه يحمل مضمونا سرديا مخالفا لمضمون السرد الأوّلي)[22].

- **واسترجاع داخلي متجانس حكائيا A. Homodiégetique**، وهو (الذي يسير تماما على خطّ زمن السّرد الأولي)[23].

2- **تقنية الاستباق** "Prolépse": والتي (تعدّ عملية سردية تتمثّل في إيراد حدث آت، أو الإشارة إليه مسبقا، وهذه العملية تسمى في النّقد التقليدي بسبق الأحداث Anticipation)[24].

ففي رواية "القلاع المتآكلة" يبدأ السرد الروائي ويجري في المراحل الأولى في حركة مركبة، متمثلة في عملية تسلسل في الحاضر واسترجاعٍ في الماضي، فنجد أحداثا كثيرة تعود إلى أزمنة بعيدة وقريبة، ويتمثل الزمن الروائي من الناحية الموضوعية في فترة بداية العشرية السوداء، ما يشير إلى أنّ الراوي رتّب الأحداث في نظام خاص، يثير من خلاله مختلف أوجه النّظر التي تشكّل الصراع وبالتالي السرد الروائي الفنّي، الذي يكشف لنا في داخله عن إيقاع الزمن المنبثق عن مجريات الأحداث الفاعلة التي تشكل البنية الزمنية للعمل الروائي.

تترتّب الأحداث وتنتظم في سياق روائي خاص، ثمّ يحدث قطع فيبدأ السرد في الزمن الحاضر ثمّ ينْزاح إلى الماضي ليسترجع مختلف الأحداث التي شكّلت نقطة حاسمة، فالرواية تبدأ مع يوميات "عبد القادر بن صدوق" وتفكيره حول موعد جلسة المحاكمة الذي وصل، ليقطعها صوت رنين الهاتف في ساعة متأخرة من الليل أين يستقبل مكالمة من أعز أصدقائه الذي يخبره بمقتل ابنه نبيل، وهنا تبدأ الأحداث في تصاعد مثير بحثا عن حيثيات الحادثة الأليمة، تليها في صبيحة الغد حادثة انفجار قوي منظّم يؤدي إلى هروب الجماعة الإرهابية التي تنتظر المحاكمة، وبالتالي تؤجّل المحاكمة إلى إشعار آخر، وهنا تبدأ الأسئلة الكبرى التي تولّد ترتيبا تصاعديا للأحداث داخل الرواية، وتنسج خيوطا رفيعة في مسار البناء الفني، متمثلة أساسا في من قتل نبيل؟ من نظّم لهروب السجناء بهذه الطريقة؟ وهذه الأسئلة في الحقيقة تمثّل نهاية مأساوية لبداية ذات ألغاز متتالية لأحداث وفصول الرواية، والتي يقوم المحامي "عبد القادر بن صدوق" باسترجاعها وإعادة استحضارها، واستيعابها شيئاً فشيئاً عبر مراحل تؤدي بنا إلى مساره الشخصي، من نقطة تحوّله من أستاذ التاريخ في المتوسّط إلى غاية عزمه على تغيير المهنة وبدايته مشوار المحاماة ودخوله في حيثيات الصراع الكبير والخطير مع الجماعات المسلحة، وصولا إلى تذكّره لظروف معيشته الصعبة في القرية حين كان صغيرا أين وردهم خبر مقتل أخيه الميلود- الذي كان مثاله الأكبر- في ظروف غامضة أثناء أدائه الواجب الوطني لتنقلب حياتهم كلية وتأخذ منعرجا آخر نستكشفه من خلال النظام الخاص للمتن الروائي متمثلا في مقاطع سردية، مجسّدة في سلسلة من الأحداث مكوِّنة علاقات النظام الزمني.

الاسترجاع (اللواحق)[25] في رواية "القلاع المتآكلة":

لقد جاء نصّ رواية "القلاع المتآكلة"حافلا بالاسترجاع من خلال استحضار الماضي بنوعيه (القريب والبعيد)، والعودة المستمرة إليه مُكسّرا حدود البنية الزمنية للرواية، غير أنّه لم يكن بشكل عشوائي إنّما ورد في إطار يفتح باب التأمل الواسع لفهم مختلف الأحداث التي جرت عبر نقاط ساهمت في صناعة المواقف وتفاقم الوضع، وبالتالي كان لها دور هام في بناء العالم الروائي، كونها قامت بدرجة كبيرة بوظيفة بينوية على المستوى البنائي للنّص الروائي. ومن بين الاسترجاعات الواردة في الرواية نميّز نوعين هما: الاسترجاع الخارجي والاسترجاع الداخلي[26].

أ/الاسترجاع الخارجي: ويتمثل في عملية سردية تُورد مختلف الأحداث السابقة للنقطة الزمنية التي وصل إليها السارد ويكون حدوثها قبل المحكي الأول، يقوم من خلالها باستكشاف حول الشخصية عبر العودة إلى ماضيها وذلك (بإكمال المحكي الأول عن طريق تنوير المتلقّي بخصوص هذه السابقة أو تلك)[27]، مثل ما يورده عن رشيد بن غوسة أعز أصدقاء المحامي عبد القادر، والمدير السابق لمتوسطة ابن باديس التي كان يدرّس فيها، وعن علاقته، ومختلف مشاكله العائلية خاصة تلك المتعلّقة بمقتل ابنه (نبيل) الذي تحوم حوله شبهة انضمامه إلى الجماعات المسلّحة التي عاثت فسادا ورعبا بأهل القرية... ومحاولته فهم ملابسات قضية مقتل نبيل، وقراءته لمذكراته، إلى جانب حمله مسؤولية قضية الصحافي يوسف العياشي الذي اتُّهِم بالتعاون مع الجماعات المسلحة، والتواطؤ معهم من خلاله نشره في يومية الخبر لمقال مفاده قيام عناصر من الأمن باعتقال مدني واختطافه في ظروف غامضة، كلّ هذا ساهم في تشكيل البنية الزمنية للنّص عبر استرجاعات خارجية.

ب/الاسترجاع الداخلي: ويتمثل في استرجاعات ذات علاقة بإطار المحكي الأول غير أنّ ذكرها يأتي متأخرا مقارنة بالأحداث الواردة، فهي في إطارها الزمني محيطة بوقائع المحكي الأوّل لكنّ الإشارة إليها في الإطار الحكائي تكون متأخرة، وتكون مختلفة من ناحية المضمون عن المحكي الأول، ففي الرواية نجد أنّ الشخصية الساردة هي التي قامت بالعمل عن طريق استرجاع مختلف الأحداث والوقائع الماضية المساهمة في تشكيل الشخصية التي عرفناها –شخصية المحامي "عبد القادر بن صدوق"- ومختلف الوقائع التي شهدتها والمراحل التي تجاوزتها حتى وصلت إلى ما عرفناه عنها من الوهلة الأولى، وبالتالي كانت في كلّ مرة تعود بنا إلى الوراء منتقية موضوعا يتمّ من خلاله الخوض في سراديب النّفس البشرية، والتعريف بأهم المجريات التي عايشتها الشخصية قبل الوصول إلى النّقطة التي توقّف

عندها السرد، وكأنها بذلك تجعل من الاستذكار متنفّسا لها يساعدها على التّخلّص من القلق والاضطراب الحاصل مثل: عودة عبد القادر بن صدوق المحامي المتكرّرة لمرحلة الطفولة ومدى أهميتها في تكوين شخصيته، إلى جانب استذكاره للأمر الذي جعله يعزم على التقدّم إلى سلك المحاماة دون تردّد بعد أن كان أستاذا للتاريخ في متوسطة ابن باديس، والصّعوبات التي لاقاها جرّاء ذلك حيث تحصّل على البكالوريا بعد محاولتين فاشلتين، ثمّ صعوبات التنقّل إلى كلية الحقوق بجامعة الجزائر، ومدى صعوبة توفيقه بين العمل في متوسطة مدينة عين الكرمة التي تبعد عن جامعة الجزائر بالكيلومترات... في الصفحات (18- 19- 20) ويقول على إثرها: (هكذا حدثت قطيعتي مع التعليم والفقر، ومع الراحة النفسية أيضا)[28]، وبالتالي التّحوّل الجذري في حياته والذي سيفتح مشوارا جديدا في البناء الحكائي للرواية.

وسنورد في الجدول أبرز اللواحق الواردة في النّص الروائي بنوعيها (خارجي/داخلي)، للكشف عن مدى مساهمتها في تشكيل البنية الزمنية، وكيفية اشتغالها داخل النّص من خلال الوظيفة المنوطة بها:

الاسترجاع	الصفحة	نوعه	وظيفته
استرسلت ولأول مرة في سرد شقاء والدي في أسابيعه الأخيرة، كلّما تذكّرتها انقبض قلبي وانقطّعت شهيتي للحياة، ذلك الكوخ المظلم دوما وأبي ممدّد في زاوية معتّمة... أمي تبكي بصمت، وتجرّني وراءها لزيارة الأولياء الصالحين والدراويش... كنا أنا وأخي نقطع الكيلومترات راجلين لنصل إلى السهل حيث مزارع المعمرين لنلتقط بقايا الخضر والفواكه...	65	داخلي	من خلال استرجاعه فتح به بوابة إحدى أبرز مراحل حياته وتتمثل في مرحلة الطفولة، حيث حاول استذكار فترة من ماضيه في مسعى منه لتبيان الأثر النّفسي الناجم عن الظروف الصعبة التي نشأ فيها. (تذكيرية)

"تذكّرني أيضا بمأساة أخرى، مأساة أختي التي أنهكها الصّرع وعذّبها قبل أن يستسلم جسدها الضامر الهشّ، وهي زهرة لم تتفتّح بعد... حكت لي أمي.. طُلِّقت من زوجها الأول وهي حامل بأخي الميلود... بقيت أمي خمس سنوات مطلقة... ثمّ رضيت بالزواج من أجل ابنها... "	66 67 68	داخلي	يبدأ في الكشف عن جانب من حياته ويحاول من خلاله إبراز مدى ألمه ومعاناته جراء صفحات مأساوية سابقة في حياته. (إخبارية تذكيرية)
لم يكن زواج رشيد من نصيرة عرفيا تقليديا، عشقها بكلّ جوارحه... رآها تتقدّم نحو الطاولة التي يديرها في الجامعة كي تسجّل نفسها في حملة التّطوع الشتوية لصالح الثورة الزراعية... ملكت قلبه وجوارحه، عمل المستحيل لاستمالة قلبها... وهكذا وجد رشيد نفسه يأخذ أمّه وبعض إخوته وأخواته لترسيم الخطوبة..	من72 إلى: 87	خارجي	يخبرنا عن علاقة دامت طويلا مستذكرا بداياتها، مفسّرا أسباب التغيرات التي طرأت عليها، فهي ذات وظيفة تكميلية حاول من خلالها استعادة أحداث ساهمت في سدّ فجوة سابقة.
لرشيد عداوة مع أبيه منذ تلك المشاجرة العنيفة حول الصلاة... لم يعد رشيد يصلي منذ انفصل عن العائلة للدراسة... لكن في إحدى المرات واجهه أبوه بصرامة... أنت أمام خيارين، إما أن تعود إلى رشدك وتستأنف صلاتك، وإمّا أنت لست ابني وأنا لا أعرفك وطعامي محرّم عليك... عارض موقف أبيه... انفجر الأب غاضبا وطرده من البيت.. لم يعد رشيد إل دار والديه إلا مرتين... كيف يعود إليها بعد غياب أربع سنوات بل أكثر... ليخطبا له امرأة... استقبلته أمه باللوم، توفي أبوه منذ ستة أشهر.. ولم يخبروه...	86	خارجي	ورد كاسترجاع تكميلي سعى من ورائه إلى سدّ ثغرة هامة في مشوار الحكي الخاص برشيد بن غوسة ومُتمّم لمسببات تصرفاته اللاحقة، وبالتالي حمل وظيفة إخبارية تفسيرية.
"لم أعرف من أبي إلا تلك الصورة المفجعة وهو ممدد على حصير رثّ مقمّل، ورعب ذلك	97 98	داخلي	كشفت عن مدى عمق معاناة عبد القادر

السـعال الحـاد الـذي يبقـيني يقظـا، سـجين العتمـة، وعرضـة لوسـاوس مخيفـة، وأنـا مـنكمش في ركـن الكـوخ المـثلّج أرتعـد كعصـفور مكسـور الجنـاحين تحـت رذاذ المطـر، وأمـي الشـجاعة، المقدامـة، المبـادرة لإعطـاء الأوامـر والـتي تحـدّث أبـي بكـلّ ثقـة نفـس... لم أشـاهد الخنـوع في سـلوك أمـي، ولا الاسـتبداد والغطرسـة عنـد أبـي، عنـدما عـدت من المقبرة أحسست بعزلة رهيبة... كنت كلما رأيت رجلا يمسك طفلا صغيرا من يده ويجرّه امـتلأت عـيني بالـدموع وشـعرت بانقبـاض يخنقني، أعود إلى البيت وأحتمي بأمي...	99 100		المحامي، وتـأثره بماضيه وكأنه أصبح جزءا منه، لا يمكنـــه نســـيانه، فكل صورة في الحاضـر تسـتدعي منـه ماضـيه بكلّ أشكاله، وبالتالي تفسّر مختلف تصرفاته.
لقـد تغـيرت حياتنـا فعـلا بعـد تجنّـد أخـي في الجيش... واصلت بيع المكانس، وأخذ الدقيق إلى الطاحونة، وصيد العصافير... كلما سـألت أمي.. طمأنتني: سيعود قريبا إن شاء الله....	101102	داخلي	وظيفـة إخباريـة تعـود بنـا إلى ماضــي عبـد القــادر المحامي في طفولته.
صـبيحة ذات يـوم غـائم... خرجـت أمـي هلعـة كما لو أنّها توقعت الصـدمة... جلسـت أرضـا تبكـي... ارتميـت في حضـنها وبـدأت بـدوري أبكـي... كيـف مـات الميلـود؟... دُفـن أخـي... تـدحرجت بنـا الأيـام... انقطـع مصـدر رزقنـا، عادت أمي إلى صناعة المكانس...	104105 106 107 108	داخلي	وظيفة تذكيرية تعود بنا إلى المأســاة الكـبرى في حياة عبد القادر المحامي ومدى تأثره بها.

خلاصة:

ورد الاسترجاع في رواية "القلاع المتآكلة" كثيرا، وهـذا راجع إلى طبيعـة مضـمون الروايـة الـتي تحمل قضية متعلّقة بمجتمع عايش فترات صعبة في مرحلة من المراحل، وقد كـان لهذا الاسـترجاع (سواء كان داخليا أم خارجيا) دور كبير في بناء نسيج وهيكل نص "القلاع المتآكلة" من خلال عمله على سدّ فراغات هامة، ساعدت على تفسير العديد من الأحداث الحاصلة، فنجده تارة قد

استدرجنا من مرحلة الشباب إلى طفولته التي كانت مليئة بالأحداث والوقائع التي أثرت في نفسيته كثيرا، وبالتالي غيّرت مسار حياته الشخصية، وتارة أخرى يعود بنا إلى ماضي شخصيات محيطة به ويقوم بتوضيح خلفياتها، الأمر الذي ساهم وعمِل على التنويع في الزمن وكسر رتابة الحكي، إضافة إلى دفع عجلة الأحداث لتترك القارئ بعدها في عملية ترتيب الأحداث، وإعادة صياغة البناء الفنّي، في عمليات تحمل وظائف ذات دلالات ومقاصد، تتراوح بين التذكير والإخبار والتفسير مشكلة بنية زمنية خاصة.

الاستباق (السوابق)، الاستشراف، الاستباق الزمني[29] في رواية "القلاع المتآكلة":

في مقابل الاسترجاع نجد السارد يلجأ إلى استباق الحدث وسرده قبل وقوعه، باعتباره عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا، فهو عامل يساهم في (زرع أفق توقع ويرصد ما سيحدث لاحقا)[30]، فيترك تأثيره الخاص في القارئ ويخلق نظرة فاحصة للبناء الروائي، وللإشارة نجد أنّ الرواية لم تحتف بالكثير من السوابق بقدر ما احتفت بالاسترجاع بمختلف أشكاله، لكن هذا لا يعني أنه لم يكن للسوابق أهمّية كبيرة إنما كان لها أبعاد مميزة على مستوى الترتيب الزّمني، عبر نماذج مختلفة في النّص، ويمكن القول إنّ قيام ضمير المتكلّم راويا مشاركا (سارد داخل حكائيا narrateur intradiétique) داخل الرواية كان عاملا مساهما في بلورة تقنية الاستباق بالدرجة الأولى، من خلال عملية التلميح إلى المستقبل تارة والإشارة إلى الحاضر تارة أخرى عبر الأدوار الحكائية المتعدّدة، التي تشكّل في نهاية المطاف تصوّرات سابقة لوقتها، (فالحكاية بضمير المتكلّم أحسن ملاءمة للاستشراف بسبب طابعها الاستعادي المصرح به بالذات والذي يرخّصُ للسارد في تلميحات إلى المستقبل)[31]، وبالتالي يعدّ الاستباق من الحيل التي يلجأ إليها الروائي قصد خلق حالة انتظار لدى المتلقي عموما.

1- الاستباق الخارجي:

تعمل الاستباقات الخارجية على تقديم ملخّص عما سيحدث في المستقبل، محاولة وضع المتلقي في موقف يخلق في داخله فضولا واسعا، ويشكّل فرضيات ورؤى تتبادر إلى ذهنه في مسعى منه لفهم مغزى السياق الحكائي، ولعلّ افتتاحية الرواية مثال حيّ على ذلك من خلال قوله: "القضية معقدة وخيوطها لاهبة... ص07"، حيث يحاول الكاتب أن يدخلنا في العالم الحكائي بشكل مثير، يظهر من خلاله مدى خطورة القضية وعمقها.

2- الاستباق الداخلي:

وتتجسّد من خلال شكلين: إما استباقات تكميلية تحاول أن ترسم تطلعات يتكئ عليها السارد في مسعى منه لبيان مستقبل الشخصية، من أجل سدّ ثغرة في الحكي ترد لاحقا، مساهمة منها في اكتمال المشاهد الحكائية مع الحفاظ على انسجامها، وإمّا في شكل استباقات تكرارية (تحيل مسبقا على حدث سيحكي في حينه بتطويل)[32]، مثلا حينما يقوم بالتساؤل عن مقتل نبيل الذي وُجد مقتولا في ظروف غامضة وترجّح الشرطة فرضية الانتحار "تملّكني الذهول ولم أقل شيئا، انتحار؟ أيعقل أن يكون ابن سي رشيد قد انتحر؟... ص11" ليأخذ بعدها المجال بالتوسّع عبر إعادة فتح القضية وتفسير مجرياتها بشكل أوسع وأوضح وصولا إلى مجريات الحادثة.

ومن خلال الجدول الآتي نستكشف بعضا من السوابق، التي يمكن القول كذلك بأنّها ساهمت في صناعة أفق توقّع لدى القارئ وبالتالي أعطت للنّص مُسحة وطابعا فنّيا مميزا وخاصا:

الاستباق(السوابق)	الصفحة	نوعه	وظيفته
قنبلة انشطارية موقوتة ننتظر، على أحرّ من جمر الغضا، انفجارها بين الفينة والأخرى، وأنا على يقين من ألاّ أحد سيخرج منها سالما....	07	داخلي	وفيه تلميح قوي إلى اضطرابات خطيرة، وإشارة إلى بداية حوادث مُفجعة وفاتحة ساهمت في رفع وتيرة القلق، وزيادة التشابكات والتداخلات نستكشفها لاحقا عبر مسار السرد الروائي.
- "هزّتني رنّة الهاتف كلسعة كهربائية مباغتة... في ساعة متأخرة من الليل... قتل نبيل... برصاصة مسدّس... يكون القاتل قد استهدف الأب دون شك فجرفت الرصاصة الابن، أكيد أنّه كان يترصّده متخفّيا بقرب المتوسّطة، فتح نبيل	08	داخلي	إنّ اكتشاف جثة نبيل في ظروف غامضة كافتتاحية للرواية كان من بين الوقائع الهامة التي أدخلت القرية في دوّامة من العنف، ويحاول الروائي خلق محور تساؤل وبحث حول حقيقة المستهدف الأكبر وهويته، وللإشارة فإنّ هذه الحادثة كانت منعرجا

السياج... فوقعت الواقعة... "			حاسما في مسار السرد الروائي، وفتحت أفق توقع عبر مقاطع سردية مقدّمة آنياً.
".. ارتفع دويّ أخرس ألسنتنا وأصمّ أسماعنا وأرجف أحشاءنا، اشرأبت الأعناق وامتدّت الآذان صاغية مترقّبة... تعالت طلقات نارية كثيفة، هدير صفيرها يملأ الجوّ...	30	داخلي	وهذه الحادثة الثانية التي هزّت القرية وهي انفجار قوي تبدأ معه حيثيات البحث عن ملابسات الحادثة المروّعة. وبالتالي أخذت الحادثة وظيفة إعلان عن الوضع الحرج الذي دخلت فيه القرية.
الظاهرة معقّدة، وخيوطها متشابكة قد تتجاوز التصنيفات العقلانية، الأحقاد كثيرة ومتجذّرة منذ قرون في هذه التربة المتعوّدة على التّمرد والعنف...	33	داخلي	يعلن من خلال هذا المقطع السردي عن بداية الدخول في عالم جديد غامض المعالم ويلمّح إلى صعوبة الأوضاع وتأزّمها مع الوقت.

خلاصة:

تعتبر هذه النماذج من أبرز السوابق المتحكّمة في مسار السرد الروائي والتي تبنّت مبدئيا الوظيفة الإخبارية حيث نجد أنّه كان لها أثرها الخاص على البنية الفنية للرواية، من خلال عملها على فتح مشوار جديد، ورؤى خاصة يقترحها القارئ في الوهلة الأولى أثناء تفاعله مع وقائع وأحداث الرواية، فكانت تحمل وظيفتين هامتين تتمثل في وظيفة الفاتحة والتي تجسّدت في البداية، ووظيفة الإعلان من خلان الإشارة والتلميح إلى مختلف الوقائع الغامضة، وبالتالي أسهمت في خلق جو مشحون بمختلف الاحتمالات والتوقعات التي تولّد الشك قبل أن تضع القارئ أمام الحقيقة الموجودة ومجرياتها الحقيقة ومسارها الخاص ونهايتها المحتومة، شكّلت لمسة خاصة للبنية الحكائية بشكل عام (سواء كانت سوابق خارجية أم سوابق داخلية)

أهمّ الاستنتاجات حول البنية الزمنية في رواية "القلاع المتآكلة" لمحمد ساري:

وبهذا نصل إلى القول بأن المفارقات الزمنية عملت على خلق جوّ مشحون داخل النّص الحكائي من جهة، وفتح فضاء أفق التوقعات من جهة أخرى ممّا جعل الرواية ثرية جدا من

ناحية الترتيب الزمني الذي ميّزته الدّينامية والحركية ومختلف أشكال المفارقات الزمنية، في مسعى لتقديم المحكي في إطار خاص ونكهة مميزة، وقالب فريد ونسيج متنوّع.

ومن أهم الاستنتاجات:

- جاءت القصة وفق تسلسل منطقي حاولت من خلاله بناء الرواية بفنية حكائية متميزة من أجل دفع القارئ إلى الأمام وتحريك فضوله إلى النهاية التي تصل إليها، فوردت تقنيات السرد القصصي حديثة، فعبد القادر المحامي يمثل مركز الرواية الذي تدور في فلكه الأحداث بشكل عام، وتمثل الظروف التي عاش فيها من أهم الأسباب التي أدت إلى تبنيه مواقف حاسمة في حياته، نظرا إلى التغييرات الحاصلة والتيارات الفكرية التي أخذت في الرواج ومبدإ كل فرد واتجاهه.

- القصة هنا لها أحداث ومرحلة تأزم للأحداث وصولا إلى حل لها، وفق تسلسل فني ذي صياغة أسلوبية تساعد في نقل الأحداث والتعبير عن مواقف الشخصيات.

- اتجه في بعض الأحيان إلى المونولوج للتعبير عن صراع الشخصيات ومشاكله الداخلية نفسيا وذهنيا واجتماعيا، مع استعماله الوصف أثناء رسمه للمشاهد الدرامية.

- استخدم الكاتب في سرده تقنيات متعددة منها الاسترجاع، والاستباق، والوقفة، والمشهد، والوصف، والحذف، والخلاصة، والمونولوج الذاتي وتيار الوعي، من أجل بناء قصصي سردي.

- كانت الاسترجاعات بمثابة إضاءات متنوّعة تغوص بنا في ماض يمثّل نقطة هامّة في مسار الشخصيات، أما الاستباقات فكانت بمثابة بوابة لعنصر التشويق وإثارة تساؤلات القارئ، وتحفيزه ودفعه إلى البحث عن الحل.

- نصل إلى أن السرد القصصي هو من أحد المقومات الأساسية لفهم الواقع، وهي وسيلة لبناء عناصر فنية، وبهذا يكون الترتيب داخل القصة تخييليا حسب نظرة الكاتب.

الإحالات:

---

(1) ساري محمد: من مواليد 1958 م بشرشال، أستاذ بجامعة الجزائر، يكتب باللغتين العربية والفرنسية، فهو كاتب ومترجم، نشر روايات عديدة، وترجم روايات كثيرة من الفرنسية إلى العربية، كما نشر كتب نقدية

ومقالات ودراسات أدبية عديدة. لمزيد من التفاصيل العودة إلى الملحق الأول في: سلمى خوخو: المتعاليات النّصية في رواية الغيث لنحمد ساري، "السيرة العلمية للكاتب محمد ساري"، مذكرة لنيل الماستر في اللغة العربية وأدبها، تخصص تحليل الخطاب، 2011- 2012م، ص: 157.

(2) ساري محمّد: القلاع المتآكلة، رواية، منشورات البرزخ، الجزائر2013.

(3) على جبال الظهرة (1983)، السعير(1986)، البطاقة السحرية (1997)، الورم(2002)، الغيث(2007)

(4) بعد أن صوّر لنا في رواية "الغيث" مراحل عديدة تبدأ قبل الاستقلال بفترة قليلة إلى مرحلة الاستقلال ثمّ مظاهرات الخامس من أكتوبر 1988وبداية ظهور الخطاب المتطرف العنيف: لمزيد من التفاصيل ينظر: خوخو سلمى: المتعاليات النّصية في رواية محمد ساري(التناص- المناص- الميتانص)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية آدابها، تخصص تحليل الخطاب، 2011- 2012.

(5) بورايو عبد الحميد: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1998، ص8.

(6) لحمداني حميد: بنية النّص السردي (من منظور النّقد الأدبي) المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، 1991، ص: 45.

(7) رولان بارث: التحليل البينوي، ترجمة: حسن بحراوي، بشير الغمري، عبد الحميد غفاّر، ط1، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992، ص: 27.

(8) رولان بارث: التحليل البينوي، مرجع سابق، ص: 45.

(9) جيرار جينيت كاتب مقالات وشعري فرنسي، متخرّج من دار المعلّمين، توجّه إلى النّقد، نشر مقالات عديدة في مجلات نقدية، مثل: "النقد"، "تيل كل"، "المجلة الفرنسية الجديدة".... ينظر: كتاب خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، محمد الحلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997، ص: 14.

(10) جيرار جينيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، محمد الحلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997. ص: 47.

(11): ينظر: GERARD GENETTE: FIGURES III, collection poétique, ED –seuil, paris-1972, p: 79.

(12) ينظر: جيرار جينيت: كتاب خطاب الحكاية.

(*)الشيء المحكي: يقصد به جيرار جينيت الحكاية

(**) الحكي: يقصد به جيرار جينيت زمن القصة، زمن الخطاب

(13) القصراوي مها حسن، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، عمّان، ط 1، ص: 11.

(14) يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1993 ص: 76.

(15) يقطين سعيد، تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص: 76.

(16) جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص: 46.

(17) يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص: 76.

(18) GERARD GENETTE: FIGURES III, collection poétique, ED –seuil, paris-1972, p: 79.

(19) المرزوقي سمير، جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصّة، تحليلا وتطبيقا، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للكتاب(د. ط)، ص: 80.

(20) Gérard Genette: FIGURES III, p: 10.

(21) Gérard Genette: FIGURES III, p: 10.

(22) Gérard Genette: FIGURES III, p: 10.

(23) Gérard Genette: FIGURES III, p: 10.

(24) المرزوقي سمير، جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، مرجع سابق، ص: 80.

(25) ينظر: جيرار جينيت: خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص: 60.

(26) ينظر: جيرار جينيت: خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص: 61.

(27) جيرار جينيت: خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص: 60.

(28) ساري محمد، القلاع المتآكلة، مصدر سابق، ص:. 20

(29) جيرار جينيت: خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص: 76.

(30) عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، ط2، 2000، ص: 131.

(31) جيرار جينيت، خطاب الحكاية، مرجع سابق، ص: 76.

(31) يقطين سعيد: تحليل الخطاب الروائي، ص: 96.

مصادر والمراجع:

1- **المصادر:**

- ساري محمّد: القلاع المتآكلة، رواية، منشورات البرزخ، الجزائر2013.

2- **المراجع:**

1- المرزوقي سمير، جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصّة، تحليلا وتطبيقا، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للكتاب(د. ط).

2- القصراوي مها حسن، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، عمّان، ط 1

3- بورايو عبد الحميد: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1998.

4- جيرار جينيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، محمد الحلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997.

5- رولان بارث: التحليل البينوي، ترجمة: حسن بحراوي، بشير الغمري، عبد الحميد غفّار، ط1، اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992

6- عبد الله ابراهيم: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، ط2، 2000

7- لحمداني حميد: بنية النّص السردي(من منظور النّقد الأدبي) المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، 1991.

8- يقطين سعيد، المركز الثقافي بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1993.

9-GERARD GENETTE: FIGURES III, collection poétique, ED - seuil, paris-1972